ستة شهور في الاتجاه الصحيح

ربعي المدهون

ستة شهور كاملة مرّت على اندلاع الانتفاضة الشعبية، في الضفة الغربية وقطاع غزة. البعض اعتبرها مدة غير كافية لاجراء تقويم لمسيرة الانتفاضة. وألحق آخرون، ممن أجروا تقويماً لها، تقوياماتهم بعبارة «قراءة أولية»، اعتماداً على ان الانتفاضة ما زالت حبلى بالكثير، وقد تأتينا بمفاجآت اكثر. غير انه، وعلى الرغم من جميع التخوفات المشروعة والحذر الذي يبديه البعض من اجراء تقويم شامل للفترة الماضية من عمر الانتفاضة، الا اننا نرى انها فترة كافية للتوقف عند محطات التشغيل الاساسية التي سيطرت على ادارتها قيادة وطنية موحدة، أدارت بها، ومن خلالها، الصراع بنجاح فاجأ الجميع، في الداخل والخارج والعالم، قبل ان يثير اعجابهم. وهذه المحطات هي مجموعة الخطوات التكتيكية التي استخدمتها القيادة الوطنية الموحدة، سواء لمعارضة سياسة الاحتلال القمعية التي بلغت ذروتها في الاعوام الاخيرة وأصبحت اكثر دموية خلال الشهور الماضية، أو لابطال مفعول التكتيكات الاسرائيلية، التي اعترضت المد الشعبي الفلسطيني الزاحف بالحجارة والمقلاع والنقيفة والتظاهرة، في عملية أشبه باطلاق صواريخ اعتراضية بهدف تدمير صواريخ وأسلحة العدو في الجو قبل بلوغها اهدافها على الارض؛ وبمعنى محض سياسي، افشال تكتيكات العدو الاسرائيلي قبل بلوغها الهدف الاستراتيجي، والقاضي بسحق الانتفاضة قبل ان تتمكن من فرض تنازلات سياسية عليه. ومثلما يتداخل عمل الوحدات والقطاعات العسكرية المختلفة في ميدان المعركة، مما يستوجب اشرافاً وتنسيقاً مباشرين من هيئة الاركان والقيادات الميدانية، لضمان حسن سير المعركة وتحقيق الانتصار، تداخلت الخطوات التكتيكية للانتفاضة، وتفاعلت فيما بينها، وأدت الى صياغة عشرات الخطوات التكتيكية الصغيرة اليومية، وحتى تلك التي تستوجبها لحظات معينة. فكان بعضها مكملاً للآخر، أو سبباً، أو نتيجة، له، واحياناً تكتيكاً جزئياً ثانوياً في مجموعة انطلقت منه. وقد أثبتت تجربة الشهور الستة الماضية، التي ما زالت تسجل نجاحات جديدة حتى الآن، ان وراء صياغة، وتوجيه، وتنفيذ، هذه التكتيكات هيئة أركان فعلية، على مستوى عالٍ من الخبرة والوعي المتطورين، الى جانب قيادة ميدانية، نشطة، وفعّالة، وحيوية، استطاعت ان تقود الانتفاضة وتنفّذ خطواتها بطريقة خلّاقة أذهلت الجميع قبل ان تثير اعجابه.

فكيف تصرفت، أذاً، هذه القيادة الجديدة التي عرفناها، خلال الشهور الستة الماضية باسم «القيادة الوطنية الموحّدة للانتفاضة في الضفة الغربية وقطاع غزة» ؟. وما هي أبرز محطاتها التكتيكية ؟ وكيف استطاعت تشغيلها ؟ وهل كان هذا التشغيل منتجاً باستمرار، وخلا من أية انتكاسات، ام انه تعرّض للكثير من المخاطر تغلب على بعضها وما زال يصارع، بمزيد من الخطوات التكتيكية الفعّالة لوضع هذا البعض في مساره الصحيح ؟ ثم لمصلحة من يمكن تسجيل